

أميركا في «عهد» كولن باول العسكري المسكون بالمدني

ثالثاً، الابتعاد عن المواقف المتطرفة على أنواعها، والميل الى توسيع التحالفات، وانجاز الاهداف «بالتي هي أحسن».
رابعاً، الرفض الحاد، انطلاقاً من التجربة الفيتنامية، لكل تورط يؤدي الى سقوط قتلى اميركيين.

الصراع مع أقصى اليمين

وسارت الامور في صورة جيدة. ففي حرب الخليج التي حررت الكويت من العراق، من دون ان «تتورط» القوات الاميركية بدخول بغداد، تحول باول «جندي أميركا الفضل». وهذا ما جعله مرشحاً موفور الحظ لنيل رئاسة الجمهورية، الا ان الموظف الذي فيه أثر التريث.

غير انه انضم الى الحزب الجمهوري الذي يقل في داخله حضور الاقليات العرقية، مع انه أصبح داخل الحزب احد براغماتيينه (أو «يسارييه») في مواجهة التيارات الايديولوجية المتصلبة. ومن موقعه هذا اتخذ مواقف غير محبوبة تقليدياً في الحزب، كالدفاع عن «نظام الكوتا» Affirmative Action في التوظيف، بما يحفظ حقوق السود والملونين.

اما مع وصول جورج دبليو بوش الى السلطة، فوصف اختيار باول لوزارة الخارجية، بأنه عنصر تلطيف مزدوج، داخلياً، يضيء، هو والمستشارة الرئاسية السوداء كوندوليزا رايس، وجهاً ملوناً على ادارة شديدة البياض. وخارجياً، يقدم وجهاً أشد انفتاحاً على العالم الخارجي، بما لا يقاس، من سائر الوجوه اليمينية الضيقي الأفق الذين صعّدوا بوصول بوش الى البيت الابيض.

وكان، ولا يزال، على رأس هؤلاء وزير الدفاع دونالد رامسفيلد، وخصوصاً نائبه بول فولفويتز.

وهذه العلاقة الصراعية باليمين، لا سيما بفولفويتز، هي التي يرى بعضهم بداياتها في الموقف من العراق، ما بين تحفظ وزير الخارجية عن الاعمال «المتهورّة» ضد بغداد والمسافة التي اراد توكيدها عن المعارضة العراقية، وبين حماس نائب وزير الدفاع للاقتصاص من بغداد ودعم المعارضة المذكورة.

وكائنةً ما كانت الاسباب، فإن العلاقة الصراعية هذه هي التي أضعفت كولن باول كثيراً. وفعلاً وصل الامر بمجلة «تايم» في العاشر من ايلول (سبتمبر) الماضي، اي قبل يوم واحد على



فهو من مواليد هارلم في 1927، لأسرة مهاجرين جامايكيين. ترعرع في جنوب البرونكس، من أعمال نيويورك، قبل ان تفسخها الجريمة والفقر، فشب نيويوركيّاً «أصيلاً» يمثل بيئة تعددية متماسكة نسبياً على رغم تردّيها الاقتصادي. والأهم، في ما خص مساره الشخصي، انه ابن بستاني تحول مشرفاً على ورشة بناء، فمسؤولاً عن قسم الشحن في مخزن تجاري، فيما كانت أمه نقابية وعاملة في صناعة النسيج.

وبدوره عمل كولن الشاب موظفاً في دكان لبيع الالعاب، ثم درس في «سيتي كوليج» في نيويورك وانضم الى الجيش حيث باشر صعوده السريع. وهذا لم يمنعه، ابان عمله في ادارة ريتشارد نيكسون، من السهر والدأب للحصول على شهادة «ماسترز» في ادارة الاعمال. وقصارى القول ان حياة باول جعلته يؤمن بأربعة مبادئ:

أولاً، تحسبن وضعه من ضمن قنوات هادئة وشرعية، على الضد من الاتجاهات الراديكالية لكثيرين من الافرو أميركيين. والاعتقاد، من ثم، بإمكان احراز الاهداف بوسائل متدرجة.

ثانياً، الولاء للدولة ومؤسساتها، لا سيما الجيش. ففي هذه المؤسسات عرف الرجل صعوده المهني، بل صعوده الاجتماعي انطلاقاً من حياته ك«ابن بستاني» في البرونكس.

لندن - خالد العكاري

كولن باول، وزير خارجية الولايات المتحدة، هو نجم أميركا الصاعد. هو حاكمها الفعلي في ظل العجز المشهود للرئيس جورج دبليو بوش عن ادراك العالم وفهم تعقيداته.

هذا ما يقوله بعضهم. لكن بعضاً آخر يقول: صحيح انه كذلك. ولكن، حتى الآن فالرجل مرشح في اية لحظة لأن يهوي من عليائه. ولدى التنقيب في الاسباب، يقال: ابحت عن رجل أفغاني قضى قبل أيام اسمه... عبدالحق!

لكن قبل عبدالحق الذي اعدمه رجال «طالبان» قبل حوالي أسبوعين، لا بأس من الرجوع قليلاً الى سيرة الجنرال وزير الخارجية.

القيم التي اعتنقها مبكراً

فباول أول أفرو أميركي (أسود) يتبوأ المنصب الذي تبواه في تاريخ الولايات المتحدة. في أيامه في الجيش كره دور بلاده في فيتنام حيث خدم شاباً، لكنه فعل حرصاً على الأميركيين وحيواتهم، لا على الفيتناميين، ولا تمسكاً بأية نزعة سلمية مجردة. بيد أن معارضته الحرب لم تلغ وظيفيته و«تنفيذه للأوامر» التي استدعاها، في نظر البيت الابيض، استمرار القتال.

بعد ذلك علمته محنة فيتنام تجنب التدخل في الخارج، فكتب وقد صار رئيساً لركان الجيش في عهد جورج بوش الأب: «ان الحرب ينبغي ان تكون سياسة الملاذ الاخير». وتحفظ عن تحرير الكويت، وناوأ فكرة دخول بغداد واطاحة صدام، ثم وقف، بعد ذلك، ضد التدخل في البلقان. ذلك ان التدخل الوحيد المقبول لديه هو الذي يبدو انعكاسه بالغ الشفافية على المصالح الاميركية، فيما تكون اكلافه لا شيء البتة. وعملاً بهذا النهج تحقق «تدخل مضبوط» في الحروب البلقانية، لا سيما في كوسوفو.

وباول، بيروقراطي المؤسسة العسكرية العريق، شغل الكثير من الوظائف التي تتوسط بين وزارة الدفاع والبيت الابيض. ففي ادوار كهذه تقلب بين 1969 و1992 فعمل مساعداً لوزير الدفاع كاسببار واينبرغر قبل ان يتولى رئاسة الاركاب. لكن المسافة التي قطعها الى حيث هو الآن طويلة حقاً.